كيف أتبرر أمام الله؟

بقلم: شكري حبيبي

منذ أن وجد الإنسان على الأرض، وهو يبحث ويتساءل: كيف أتبرر أمام الله؟ فأيوب رجل الله في القديم تساءل: "فكيف يتبرر الإنسان عند الله؟" (أيوب٩:٢) وكل الأنبياء قديما والأتقياء سعوا للحصول على البر. ويصلي النبي داود ويتضرع أمام الله ويقول: "ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حي." (المزمور١٤٣:٢) فماذا يعني أن يتبرر الإنسان أمام الله؟ وما هو التبرير؟

تعود كلمة التبرير إلى كلمة البر. فما هو البر؟ إن البر هو الصلاح والصدق، والتنزيه عن الخطأ. والبار هو الصالح والصادق. لهذا نقول إن الله تعالى هو وحده البار، أي الصالح، المنزه عن الخطأ، والذي لم يعرف الإثم. أما بالنسبة لنا نحن البشر فإن الوضع على خلاف ذلك تماما، إذ جميعنا خطاة ونفعل الشر، ولا يوجد بيننا إنسان بار، أي صالح ومنزه عن الخطأ. وكما تقول كلمة الله: "ليس بار ولا واحد. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يفهم ليس من يطلب الله. ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد." (رومية٣:١٠) فكلنا أولاد آدم وحواء، ورثنا الخطية عنهما، وبالخطية جُبلنا. هذه هي حالتنا، لا بل هذه هي طبيعتنا البشرية، طبيعة ساقطة.

قد يقول قائل: إنني إنسان صالح، ولم أفعل في حياتي ذنبا، أو أرتكب إثما كبيرا. فأنا لم أسرق أموال غيري، ولم أعتد على حياة الآخرين، ولم أزنِ، ولم أفعل الكبائر. وقد يقول آخر: إن قلبي من الداخل نظيف، ولا يوجد فيه أي حقد أو ضغينة على أحد. وفوق هذا فأنا قد تربيت تربية دينية صالحة. ومنذ صغري وأنا أؤدي واجباتي الدينية، وأحب الآخرين وأسعى لمساعدتهم. لكن السؤال هو: هل هذه الإدعاءات صحيحة يا ترى؟ وإذا كنا حقا لم نرتكب جريمة ما، ولم نسرق، ولم نزن. فهل هذا يعني أننا أناس صالحون أو منزهون عن الخطأ؟

لو فحص كل إنسان منا نفسه بصدق وأمانة، لاكتشف أن طبيعته فاسدة من الداخل، وأن الخطية كامنة فيه بالرغم من كل المظاهر التي يدّعيها. فنحن قد ورثنا كما ذكرت قبل قليل، طبيعة الخطية عن أبوينا الأولين آدم وحواء. ومهما ادّعينا بالنزاهة والصلاح، فنحن لا نقدر أن ننكر وجود الحسد والبغض والضغينة والشهوة، وغيرها من الصفات السلبية في نفوسنا. ولا نقدر أن نتجاهل

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وجود الغضب والصياح والكلمات النابية في حياتنا. ليس بار ولا واحد. ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد. هذا هو وصف الله لنا. وهذه هي حقيقة نفوسنا. سواء اعترفنا بذلك أم لم نعترف. ونتيجة لهذه الحقيقة المرة فقد إستحقينا عقاب الله العادل ودينونته.

لكن السؤال هو: هل من الممكن أن نتبرر أي نصبح صالحين أمام الله القدوس؟ وكيف؟ للإجابة عن هذه التساؤلات لابد أن نعود إلى كلمة الله المقدسة، التي هي المصدرالوحيد الذي نستمد منه ما يريده الله منّا، وهي أيضا مصدر الحقائق الروحية. فقد كتب الرسول بولس قائلا: "**وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لافرق. إذ الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. لاظهار بره في الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع.**" (رومية٣:٢١-٢٦)

لقد أجابنا الرسول بولس إذن عن التساؤلات: هل من الممكن أن نتبرر أمام الله؟ وكيف؟ بأن أوضح لنا، أنه ظهر أي أُعلن عمل الله لتبريرنا نحن البشر الخطاة. هذا العمل الذي سبق للناموس ولأنبياء العهد القديم أن تنبأوا عنه، وشهدوا له. وأن هذا التبرير قد أصبح ممكنا عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، المخلص المسيح الذي قام بعمل الفداء. إذ من خلال هذا الفداء قدُم الله المسيح كفارة من أجلنا، لكي يبررنا نحن البشر الخطاة.

نلاحظ من هذه الآيات المقدسة ورود تعبيرين هامين هما الفداء والكفارة. فماذا تعني أولا كلمة الفداء. إن فداء الرجل من الأسر أو السجن، يعني إنقاذه من الأسر بواسطة المال مثلا. والفداء ما يُعطى من مال ونحوه عوض المفدي. وفي العهد القديم من الكتاب المقدس كان العبد أو الأسير المحكوم عليه، يدفع ديّة أي مبلغا من المال، ليفتدي به نفسه ويصبح حرا طليقا. وهذا المبلغ من المال يسمى فدية أو فداء. أما في العهد الجديد من الكتاب المقدس، فإن كلمة الفداء تشير إلى التحرر من عبودية أو أسر الخطية، والخلاص من حكم الله العادل وقصاصه الأبدي، عن طريق وسيط يدفع الثمن عوضا عنا. ولهذا ارتبط الفداء بالمخلص المسيح الذي يوصف بالفادي. فالمسيح هو الذي قدّم جسده فدية، أي دفع ثمن العقاب عوضا عنا، وذلك لكي يفك أسرنا من عبودية الخطية، ويرفع عنا دينونة الله. إن الفدية في العهد الجديد إذن، هي جسد المسيح المقدم على الصليب، ودمه المسفوك من أجل ذنوبنا. والمخلص المسيح هو الوحيد الذي أكمل عمل الفداء، إذ فدى البشر أي اشتراهم بموته البديلي على الصليب. لقد كانت الذبائح الحيوانية التي تقدّم في العهد القديم، تشير إلى حاجة الإنسان إلى فدية، أو لمن يأخذ القصاص عوضا عنه، حتى ينال غفران الله ورضاه، وفي نفس الوقت كانت هذه الذبائح ترمز وتشير إلى فداء المسيح. وعندما أتى المخلص المسيح قدّم نفسه ذبيحة عن الخطية، وصار هو الفدية المقبولة أمام الله . ولهذا وُصف المسيح "بحمل الله" الذي يرفع خطية العالم .

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ثانيا: كلمة الكفارة. تعني كلمة التكفير، ستر الشيء أو تغطيته. والكفارة هي الأمر أو الشيء الذي يُكفّر به، أو يتم بواسطته الستر أو التغطية. وأن يكفّر الله عن الذنب، يعني أن يغطيه و يمحوه ولا يعود يراه. والكفارة هي الوسيلة التي يُغطى بها الإثم. ولقد كان هدف الذبائح الحيوانية قديما أيضا، هو التكفير عن ذنوب الإنسان. أي تغطية وستر خطاياه أمام الله. فبتقديمه الذبيحة كان الإنسان يقر ويعترف أنه مستحق لدينونة الله وعقابه، ولهذا يقدم الذبيحة عوضا عنه. وعندها كان الله يرضى عنه، ويكفر عن خطاياه، أي يغطيها ويسترها ولا يعود يذكرها أمامه. لكن كل ذبائح العهد القديم كانت تشير وترمز إلى الذبيحة الحقيقية التي سيعدها الله بنفسه. ولم تكن هذه الذبيحة كما لاحظنا من الآيات المقدسة أعلاه، سوى الرب يسوع المسيح نفسه، الذي قدمه الله

كفارة من أجلنا. وهكذا عندما يؤمن إنسان ما

بالمخلص المسيح وبعمل التكفيرالذي قام به، لا يعود الله يرى الخطية في هذا الإنسان، لأن كفارة المسيح قد غطّت خطاياه وسترتها. وهكذا يظهر المؤمن بالمسيح بارا أي صالحا أمام الله.

قد يتساءل البعض ويقول: هل هذا معقول؟ وهل من الممكن أن يسامحنا الله، وينظر إلينا كأناس أبرار صالحين بمجرد الإيمان بفداء المسيح وكفارته؟ والجواب نعم إن هذا معقول وممكن، لأن فداء المسيح وكفارته كافيان ووافيان.

أليس هذا أمرا مدهشا للغاية يا أعزائي؟ أولا يكشف لنا عن محبة الله العظمى؟ أجل لقد أحبنا الله محبة عميقة، وليس هذا فحسب، بل أعد لنا الفدية والكفارة التي نستطيع من خلالهما، أن نصبح أبرارا صالحين أمامه. ولنلاحظ أننا لسنا بحاجة لكي نقوم بأي عمل صالح أو أية واجبات دينية، لكي نفدي نفوسنا أو نكفّر عن خطايانا. لكن المطلوب منا فقط أن نؤمن بهذه الفدية، وهذه الكفارة التي أعدها الله لنا.

فهل تُراك قارئي تأتي إلى الله تائبا عن ذنوبك، ومؤمنا بهذه الفدية وهذه الكفارة؟ أي تؤمن بفداء المخلص المسيح ، وعمل التكفير الذي قام به من أجلك على الصليب، وبقيامته المجيدة من بين الأموات. وهكذا يغفر الله ذنوبك، وتصبح بارا أمامه، لا بل تغدو من أولاد الله ، وتنال الحياة الأبدية.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service